مقـالة

الهوى والعاطفة !

لفضيلة الشيخ

أحمد السبيعي

بتاريخ :٥ ربيع الأول ١٤٤٠ هـ الموافق ١٣/ ١١/ ٢٠١٨

الهوى والعاطفة !

1. حذَّر النبي ﷺ من أقوامٍ يسمُّون الأشياء بغيرِ اسمها، وهذا تحذيرٌ عام.

2. والمراد بتسميةِ الأشياء بغيرِ اسمها: أي اختيار أسماءٍ تغيِّر من حقيقتها أو تخفِّف من وصفها بالشر؛ وليس المراد تنويع العبارات المفهِمة أو تعدد الأساليب الشارحة والمبيِّنة للمعاني فهذا مراد من حيث الجملة في الشريعة.

3. وقد لفت نظري حرصُ أهلِ الأهواء على تخريجِ النزاعات الحاصلة في الدين على أنها خلافات شخصية.

4. والخلافات الشخصية من المظالم والنزاعات في الأموال والحقوق يُحكَم فيها بالشريعة وهي نزاعات ليست في الدين إنما على الدنيا وحقوقها وحظوظها.

5. وَمِمَّا يمكن أن يدخل في هذا الباب ويكون مؤثراً مما جرى في المنتسبين للعلم ورَوَتُه الكتب ما يُعرَف بطعنِ الأقران بعضهم ببعض؛ فهذا النوع من الطعن يردُّ على قائله إذا لم يكن صادقاً عادلاً بحُجَّة لأنه غير منضبط بشرطي الديانة والعدل وإن كان قد يقع بتأويل؛ فهذا هو الذي يُطوى ولا يُروى، وهو كما ترى بابٌ محدودٌ في جريانِ لسان العلم به، وإن كان قد لا يكون محدوداً من جهةِ ما تنطوي عليه الصدور كما يروي ابن عباس أو غيره أن أهلَ العلمِ أشد تنافراً من التيوس في مرازبها أو ما معناه.

6. فتقصَّد أهلُ الأهواء في هذا الزمان على تخريجِ كل نزاعٍ حاصل ومخالفة للسنَّة واتباع للأهواء على أنه خلافات شخصية فهو نوع من الترقيق والتقليل من شأنِ هذا الشر وتسميته بغير اسمه.

7. بل كل فعلٍ متعمَّد في مخالفة السنَّة سببه اتباع الإنسان لهواه سواء كان معصية كبيرة أو صغيرة أو بدعة أو ظلم أو عدوان على الدين أو الناس، ويغفل هنا عن مثل قول الله ﷻ: **(وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم)** [آل عمران:19].

8. وكونه اتباعٌ للهوى لا يمنع أن تكونَ مراتبه في الشر متفاوتة.

9. فاحذر يا صاحبَ السنَّة من أقوامٍ يسمون اتباع الهوى بغير اسمه؛ فيسمُّونه خلافات شخصية تارةً؛ ويسمونه حظوظَ نفس تارةً أخرى، وقد يسمونه عاطفة أحياناً؛ وكل ذلك فرار من الزحف وتهوين من شأن اتباع الهوى، فهما أمران:

- اتباعُ هوى
- واتباعُ هدى

فاتباعُ الهوى يُوقِع في المعاصي الشهوانية وغيرها من الكبرِ والعُجبِ والحسدِ والحقدِ والغيبةِ وسوءِ الظن والبغي والعدوان والبدع وغير ذلك.

واتباع الهدى يُوجب التقوى والعدل والإنصاف والتحكيم العادل للشريعة والتمسك بالسنَّة واعتبار المسائل التي تحتمل التنوع والاجتهاد.

10. ولذلك يجمع الوحي بين الشهوات والشبهات؛ لأن بواعثهما في النفسِ البشرية واحدة؛ لكن متعلقهما مختلف؛ وبينهما تلازم، وحكمهما مختلف، فمن ذلكم قول النبي ﷺ: «**أخوَفُ ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء والفتن**» أو ما معناه.

11. ثم الحكم على الشر بحسبِ منزلته لا يعني أن يهوّن من شأنه، أو أن يكون فراراً من ضعف القدرةِ على الإحاطة به علماً؛ وذلك لاعتياد الطلاب على تخريجِ النزاعات بصورة المسائل العلمية فيندفع الناقص أو العاجز أو غيرهما إلى افتعالِ المسائل أو صورة التخريج أو تركيبها في إطار أو علم اصطلاحي أو تضخيم بعضها ليحلَّ الإشكال الوارد عليه في رؤيته لأجواء اتباع الهوى المورِثة للتفرق والحزازات.

فلابد إذاً من افتعال مسائل تناسب هذه الأحكام الظالمة الباغية فيقع في اتباع الهوى من حيث أراد أن ينفيه- عياذاً بالله- أو يقع في الخطأ؛ ومثله مَن يقف على الضفة الأخرى فيخرجها على أنها خلافات شخصية؛ حتى يرضي نفسه المريضة أو نقص علمه أو قوته أو يفر من مواجهة النزاع مواجهةً بحقٍ وعدل ويستكين إلى الاعتزال الذي حقيقته التخذيل.

وفي الوقت نفسه الذي تتهم فيه الطائفة الباغية الظالمة- السابق ذكرها- من لم يشاركها في معركتها الخاسرة بالتخذيل ومَن يتلَّمَّس الحجج يعلم أين العدل وأين البغي وإن كان هناك مَن يريد أن يخرج هذه الأبواب على أشخاص الشيوخ ويريد أن يقيّمهم بأشخاص مقامَ الحجَّةِ القائمة المطلقة الملزمة شأن أهل البدع والأهواء الذين ينّصبون أئمتهم مناطاً للولاء والبراء؛ ليمتحن بأشخاص الشيوخ في موضع ليس هو مقام الامتحان بهم.

12. وإن كان النبي ﷺ ذكرَ أن التفرقَ يكون في الأهواء، وهذا أكثر ما يجئ في القرآن في استعمال لفظ الهوى، وقد جرى اصطلاح السلف على تسمية أهل البدع بأهل الأهواء فهذا لا يتنافى مع ما تقدم من أن كل مخالفةٍ معصية كانت أو بدعة ففيها اتباع للهوى كما قال تعالى: **(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى)** [النازعات:40].

13. والمراد هنا تذكير النفس والاخوان أن لا نسلِّمَ لأهلِ البدعِ والأهواء في تسميةِ الأشياء بغير اسمها أو ندخل للبحث من غير مدخله الصحيح، فكم وكم وظّف أهل البدع والاهواء من الجماعات وغيرهم هذا الباب كما وظفوا قصة البخاري- رحمه الله تعالى- في مسألة اللفظ بالقرآن في الدفاع عن أنفسهم وبدعهم وأهوائهم بدلاً من التوبةِ والرجوع إلى السنَّة؛ وكلُّ ذلك داخلٌ في نهي النبي عن تسمية الأشياء بغير اسمها ولا ينحصر هذا الحديث كما يطيب لأهل الاهواء في تسمية الخمر مشروبات روحية فقط!.

بقلم الشيخ أحمد السبيعي

الثلاثاء 5 ربيع الأول 1440 هـ

الموافق 13 نوفمبر 2018